من فضل الله الملك المعبود
من بدع عبده الفقير المذنب الحقير
الحاجي عيسى عفا الله اللطيف الخبير
عيسى ابن حمود ابن محمد الخريس
الشرعي سنة ١٣١٩

ملك صالح ابن محمد العجلان بلد حايل

البراهين الأسلامية في رد الشبه
الفارسية للشيخ الحبر الهمام
عبد اللطيف ابن عبد
الرحمن آب
حسن

رحمهم الله وعفى عنهم وأسكنهم الجنة بمنه وكرمه انه جواد كريم وصلى الله على محمد وسلم

مكتبة الرياض السعودية
رقم التسجيل العام ٢١٣٩٤
التاريخ ٧/٤/٨١

٢٩/١ كما عل

مع الشكر والتقدير لفضيلة الشيخ أحمد بن عبد العزيز المبارك
٢٠/٢/١٤٠٨ هـ

ابراهيم بن صالح الفارس

هذا المزيد على المفقد

ضع هذا الكتاب ضمن منشورات نادي الدرعية
بتعهد محمد بن صالح الفارس ص.ب ٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فاني قد وقفت على اوراق
كتبها بعض الملحدين يرد فيها بزعمه ما دل عليه الدليل من وجوب اخلا
ص الدعاء لله وتركه مسئلة ما سواه من الانداد والاموات وكذ
لك يجحد فيها ما قام عليه البرهان وتطوق به التواتر من اختصاصه تعالى
بعلم الغيب وزعم ان للاولياء والصالحين بعد الممات تصرفا وانهم يجيبون
من قصدهم بالاستغاثة والدعاء وهذه الاقوال التي اوردها و
الشبه التي صدرها يعلم بطلانها وفسادها بالاضطرار من دين
الاسلام وما جاءت به الرسل الكرام ولكن غربة الدين وقلة من يعر
فه من المنتسبين قد يس مع بسببهما الباطل والشرك على الكثير
قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة
عروة اذا نشئ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية فاذا كان عدم معرفة
الجاهلية سببا لنقض العرى الاسلامية فما ظنك بمن لا يعرف الاسلام
ولا الجاهلية كما هو الغالب في هذه الاوقات عن حذيفة ابن اليمان
انه اخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال هذا الديك قد استضاء
استضاءة هذه ثم اخذ كفا من التراب فجعل يذره على الحصاة حتى
واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون هذا الديك كما
دفنت هذه الحصاة ولتسلكن طريق الذين كانوا من قبلكم حذو ال
قذة بالقذة وحذو النعل بالنعل يشير رضي الله عنه الى جنس هؤلاء
الذين يلقون على عوام الناس وضعفاء البصائر من الشبهات ما يستميلو
نهم به الى دعاء غير الله والاجابة سواه والاعتماد والتوكل على الاولياء
والصالحين حتى ينسلخ من استجابهم من حقائق الملة والدين
ويصيرون في زمرة الجاهلية والمشركين وفي حديث ثوبان وانما اخاف

على

على امتي ائمة المضلين وقد زعم ان من آمن باخلاص الدعاء لله وآمن بانه
هو علام الغيوب او انكر ان يكون لاحد من الاموات تصرف في ملكه
الله يصير معتزليا وكان الرجل لا يعرف ان اعتزال بالمعنى الاصطلاحي
فان اصل الاعتزال هو القول بالمنزلة بين المنزلتين ثم اضاف الى
هذا القول بما كانت عليه المعتزلة من تعطيل الصفات وجحدها و
القول في القدر والجبر ونحو ذلك مما هو معروف عنهم واصل التسمية
ان عمرو ابن عبيد واصحابه اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله و
ظهر وا مخالفته هذا اصل الاعتزال في اصطلاح الفقهاء والمتكلمين
والنظار وهذا هو الذي يطلق عليه عندهم ان اعتزال بالمعنى الا
صطلاحي واما اعتزال من دعا غير الله والتجا واعتمد على ذلك الغير
لحصول مطلوب او دفع مرهوب فان اعتزال من فعل هذا والبراءة
منه هو دين الاسلام الذي جاءت به الرسل الكرام قال تعالى عن خليله
ابراهيم واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي والله در الشا
فعي حيث يقول

يا راكبا قف بالمحصب من منى ٭ واهتف بجانب خيفها والناهض

فاذا رأيت بجانب خيفها ركبا ناخ فقل بحب آل محمد

فليشهد الثقلان اني رافضي ٭ وكانت الجاهلية تسمي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصابي وتقول صبا محمد لما فرق دينهم وما هم عليه من
عبادة الملائكة والصالحين والاوثان وكان ابو جهل يتبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وهو يدعو الناس الى الله ليمنعوه ليبلغ كلام
ربه ويقول لا تطيعوا هذا الصابي ومعنى الصابي قريب من معنى
المعتزلي

فصل

قال المعترض محمد بن عبد الوهاب واجب الوجود
هذا القول الذي صدر به رسالته وهذه العبارة لا تعرف في كلام الله
الذي لا يضل من اتبعه ولا يشقى ولا في كلام رسوله الكريم الذي

لاينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى بل ولا في كلام احد من الائمة الخ سلام
والهدى وانما اخذها بعض المصنفين عن اهل الكلام والمناطقة الذين
اعرضوا في باب معرفة الله واثبات وجوده وربوبيته عن الكتاب
والسنة وما درج عليه اهل العلم والايمان من سلف الامة واعتمدوا
في هذا الباب على مجرد القضية الكلامية والمقدمات المنطقية
واول من عرفت عنه هذه العبارة هو ابن سينا الطبيب المتكلم و
خالف سلفه في التعبير كهذا فانه قسم الوجود الى واجب وممكن وجعل
الممكن مستلزما للواجب لكنه قال الواجب لايكون الا واحدا فلا يكون
له صفة ثبوتية فسلبه صفات الكمال ونعوت الجلال ونعته هو
ومن وافقه بالسلوب التي تقتضي انه واجب العدم وهؤلاء اصابهم في لفظ واجب الوجود ما اصاب القدرية في القدم والحادث
والفلاسفة الذين يسندون الحوادث الى الفلك يقولون بواجب
الوجود لكنه عندهم عالم على حال واحدة في الازل الى الابد يمتنع
ان يصدر عنه حادث والواجب في هذا الباب وغيره اتباع ما جاء
في كتاب الله والتعبير بالعبارة الشرعية التي دل عليها الكتاب والسنة
وترك المتشابه من الكلام ونحن لا ننكر ان العقل يوجب وجود رب
قادر قاهر عليم حكيم خلاقا وان هذا تقتضيه العقول السليمة و
توجبه الفطرة المستقيمة كما دل عليه كتاب الله في غير موضع وهؤلاء
لا يعنون هذا بل يوافقون ابن سينا وشيعته على سلب الصفات
ومن صح قصده فعليه ان يعبر بالعبارة الشرعية ويختار الوصف
الذي اختاره الرب لنفسه والتعبير بالاسم الكريم المتناهي في التنزيه
والقدس المستلزم لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال قال الله
تعالى الحمد لله رب العالمين وقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض

وقال الحمد

وقال الحمد لله فاطر السموات والارض ونحو ذلك كثير مما يدل على تعليق الحمد
بهذا الاسم ان قدس الموصوف بجميل الصفات والنعوت وقد يعلق
الحمد (بلا صفة) وفعلية وما جاء في كتاب الله الكل وام

فصل وقال المعترض اعلم ان المنكرين للاستمداد
من اهل القبور اهل الاعتزال مطلقا وبعض الفقهاء من اهل السنة
فيما عدى الانبياء عليهم السلام وقد طائفة افرطوا في الانكار
فاردت ان اورد في هذه الورقات شبهاتهم الدائرة على السنتهم
مع الاجوبة واورد ادلة الاثبات ما ينفعونه والجواب
عن هذا ان يقال هذا الكلام يشهد بجهالة قائله وضلاله و
افلاسه من العلم والهدى فان هذه العبارة لا تصدر عمن عرف الاسلام والتوحيد والامن عرف الاعتزال والسنة وما يراد بهما عند
اهل العلم فان الاستمداد من الاموات ودعاءهم هو طلب المدد بما
شانه ان يستمد به يطلب فيدخل تحت هذه العبارة كل مطلوب و
مرغوب من امور الدنيا والاخرة وهذا هو دين المشركين من الكتابيين
والامية قال تعالى فيمن دعا من بنيا والملائكة والصالحين واستمد منهم
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طائفة
من السلف نزلت هذه الاية فيمن يدعو الملائكة والمسيح وامه و
عزيرا وصالحي الجن فاخبرهم تعالى ان هؤلاء المدعوين عبيد كما
ان الداعين لهم كذلك يرجون رحمته ويخافون عذابه ومن كانت
هذه حاله فكيف هذا نعته فلا يدعا مع الله ولا يرجا من دونه ان
الدعا هو العبادة وهي حق الله لا يليق صرفها لغير لكمال غناه

وعلمه وقدرته ورحمته وقيوميته وانفراده بالتاثير والتدبير وقال
تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفا
عة عنده الا لمن اذن له قال بعض السلف هذه الاية تقطع عروق
الشرك فان تعالى نفى عن من دعاه المشركون ان يكون له من الملك شئ
ولو مثقال ذرة ونفى مشاركته ولو قلت ونفى ان يكون له ظهير يعاونه
ويوازره لكمال غناه وعلمه ورحمته وعموم قيوميته ثم نفى الشفاعة
عنده الا لمن اذن له ففي هذا من صرف الوجوه اليه وتركه التعلق على
غيره كائنا من كان ما لا يخفى على من عقل عن الله وقال تعالى يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذ
بابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فذكر تعالى عجزهم عن خلق الذباب الذي هو
من اضعف المخلوقات واخبر انه لو سلبهم شيئا لما استطاعوا استنقا
ذه منه وهذا غاية في الحجة والبيان وتقرير ضعف من دعي مع الله ممن يستمد
منه عباد القبور ومن يدعو الاموات لان العجز عن خلق الذباب
وصف مشترك بين جميع المخلوقات فدلت هذه الاية الكريمة مع
اختصار لفظها على ابطال دعوة كل مخلوق وقررت دليله بذكر العجز
عن خلق الذباب واستنقاذ ما سلب فاي شئ يستمد ويطلب
ممن هذا حاله فالحمد لله الذي جعل كتابه تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة
وبشرى للمسلمين وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
وطلب الاستمداد دعاء باجماع اهل اللغة والمفسرين وقال تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية فامر بدعائه وندب عباده اليه كما قال في الاية
الاخرى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعان ومن دعى الناس الى الاستمداد من الاموات ودعائهم فقد شاقق الله

ورسوله

ورسوله وسعى في صرف الوجوه عن مسئلة بارئها وفاطرها الى مسئلة
مخلوق ضعيف لا يملك ولا يستطيع لنفسه نفعا ولا ضرا وكيف يجيز ان
يستمد من الاموات والمرغبة اليهم من يؤمن بما انزل الله من الكتاب
والحكمة قال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم الاية قيل معناها اسئلوني
اعطكم وقيل معناه اعبدوني اثبكم والقولان متلازمان لان كل سائل
عابد وكل عابد سائل وقال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من
قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فنفى عنهم
الملك والشركة وان افل كالقطمير الذي هو قشر النواة وذكر انهم لا
يسمعون دعاءه وانهم لو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير ما استجا
بوا لداعيهم فاي استمداد يبقى بعد هذا لو كانوا يعلمون وكل من سمع
هذا وله قلب يعقل به لا بد ان يعرف ويستيقن ان هذا غاية في البيان
والكشف عن حال من استمد منه المشركون او زعموا انه لتصرف او
شفاعة ترجا منه وتطلب وقال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فامر
عباده باخلاص الدين له والدعاء وطلب الرغ ستمداد من اكبر اصول الد
ين فمن صرفه لغير الله تعالى فهو غير مخلص له الدين لان الدعاء من اجل العبا
دات وافضل الطاعات كما في حديث النعمان ابن بشير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وفي حديث انس الدعاء مخ العبادة
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين وبهذا
تعلم ان من اجاز صرفه للاموات فهو ممن يجيز دين المشركين
وان يعدل بالله رب العالمين وذكر البخاري رحمه الله وغيره
ان عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس في خلافته ولم يستمد السقيا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم اقرم ورضيه ومضت السنة على ذلك
سلفا وخلفا ولم ينقل عن احد ممن يعتد به عند المسلمين حرف واحد

يعتقد جعل الأستمداد من الأموات بل الماوقع بعد القرون المفضلة
من العامة استمداد الأموات كفرهم اهل العلم والايمان وانكروه اشد
الانكار وذكروا انه فعل عابد الاصنام قال الامام ابن عقيل في فنونه
لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم
اوضاع وضعوها هم لانفسهم فسهلت عليهم اذالم يدخلوا بها تحت امر
غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وتخليقها و
طلب الحوائج من الموتى ودس الرقاع في القبور فيها يامولاي افعل
لي كذا وكذا وقال شيخ الأسلام ابن تيمية من جعل بينه وبين
الله وسائط يدعوهم ويسالهم ويتوكل عليهم كفر اجماعا فحكى الأجماع على
كفر من فعله وقال ان قام الحافظ ابن عبد الهادي في رده على السبكي
وقوله اي قول السبكي للمبالغة في تعظيمه اي تعظيم الرسول صلى الله
عليه وسلم واجبة يريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل احد تعظيما حتى
الحج الى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد انه يعلم الغيب وانه
يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وانه
يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وانه يشفع فيمن شاء
ويدخل الجنة من يشاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في
الشرك والانسلاخ من جملة الدين وهذا هو اعتقاد عباد القبور
فيمن هو دون الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الرسول وهذا امر
اعظم واطم من ذلك وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية قال
علماؤنا من قال ارواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر فان اراد بالعلم
علماء الشريعة فهو حكاية للاجماع على كفر معتقد ذلك وان اراد
علماء الحنفية خاصة فهو حكاية لاتفاقهم كما في شرح الدر المختار
الذي هو عمدة الحنفية في هذه الاعصار التشنيع والتشديد

فيما

فيما احدثته العامة عند قبر احمد البدوي من التعظيم وطلب الحوائج والاستغاثة
وغير ذلك [illegible]
[illegible]
وقال الشيخ ضيع الله
الحلبي الحنفي في كتابه الذي الفه في الرد على من ادعى انه للاولياء
تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد والبلايا
ت وبهم تكشف المهمات فيأتونه قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات
مستدلين على ان ذلك منهم كرامة وقالوا منهم ابدال ونقباء واوتاد
ونجباء وسبعون وسبعة واربعون واربعة والقطب هو الغوث
للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبح والنذور وانتشوا لهم
فيها الأجور قال وهذا الكلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك والعذاب السرمدي لما فيه من ارتكاب الشرك المحقق ومضادة الكتاب
العزيز المصدق ومخالفا لعقائد الائمة وما اجتمعت عليه الأمة
وفي التنزيل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا الى ان قال
الفصل الأول فيما انتحلوه من ان فكرة الوجيه والشركة العظيم الى
ان قال فاما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله
تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو وان امر الله هلك السموات والارض ونحوه
من الايات الدالة على انه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير
ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا
وملكا واحياء وامانة وخلقا وقد حج الرب بانفراده في ملكه بايات من
كتابه كقوله هل من خالق غير الله والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير وذكر ايات في هذا المعنى ثم قال فقوله تعالى في الايات كلها من
دونه اي من غيره فانه عام يدخل فيه ما اعتقدته من ولي وشيطان

شديده فانه مع لم يقدر على نصر نفسه كيف يقدر على نصر غيره الى ان قال فكيف يتصرف
لغيره من لا يمكنه ان يتصرف لنفسه ان هذا من السفاهة بمقول وجهل وشر
كبير عظيم الى ان قال واما القول بالتصرف بعد الممات فهو اشنع واشد
بشاعة من القول بالتصرف في الحياة قال جل ذكره انك ميت وانهم ميتون
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى
عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى كل نفس ذائقة الموت كل نفس
بما كسبت رهينة وفي الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الحديث
فجميع ذلك هو ونحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت فان
ارواحهم محبوسة وان اعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك
على ان ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره بحركة وان روحه
محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف
يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر ان الارواح عندهم وهؤلاء الملحدون
يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة فقل فلم لم تعلم ام الله قال واما اعتقادهم
ان هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة لان الكرامة
شيء من عند الله يكرم بها اولياءه لا قصد لهم فيه ولا تحري ولا قدرة ولا
علم كما في قصة مريم بنت عمران واسيد ابن حضير وابي مسلم الخولاني
قال واما قولهم يستغاث بهم في الشدائد فهذا اقبح مما قبله وابدع
لمصادمته قوله جل ذكره ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء
ويجعلكم خلفاء الارض اله مع الله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
تدعونه تضرعا وخفية وذكر ايات في هذا المعنى ثم قال فانه جل ذكره
قرر انه الكاشف للضر لا غيره وانه المتعين لكشف الشدائد والكرب
وانه المنفرد باجابة المضطرين وانه المستغاث لذلك كله وانه القادر
على دفع الضر والقادر على ايصال الخير فهو المنفرد بذلك فاذا
تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي قال واما الاستغاثة

تجوز

تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال او
ادراك عدو او سبع ونحوه كقولهم يا زيد يا لقوم يا للمسلمين كما ذكروا
ذلك في كتب النحو بحسب الاسباب الظاهرة بالفعل واما الاستغاثة
بالقوة والتاثير او في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف
الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله فلا
يطلب فيها غيره قال واما كونهم معتقدين التاثير منهم في قضاء حاجا
تهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون
بهم فهذا من المنكرات الى ان قال فمن اعتقد ان لغير الله من نبي او ولي او
ملك او غير ذلك في كشف كربة وقضاء حاجة تاثيرا فقد وقع في وا
دي جهل خطير فهو على شفى حفرة من السعير واما كونهم مستدلين
على ان ذلك منهم كرامات فحاشا لله ان تكون اولياء الله بهذه المثابة
فهذا طعن اهل الاوثان كذا اجراهم شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى واتخذوا من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فاذا ذكر ما ليس من شانه النفع ولا
دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله
اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير الا منه قال واما ما قالوه من ان
منهم ابدالا ونقبا واوتادا ونجبا وسبعين وسبعة واربعين واربعة
والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره
القاضي المحدث ابو العربي في سراج المريدين وابو الجوزي وابن
تيمية انتهى باختصار ومثل هذا موجود في كلام غيرهم من العلماء و
المقصود ان اهل العلم ماذا ولم ينكرون هذه الامور ويبينون انها
شرك وان كان بعض المتاخرين ممن ينتسب الى العلم والدين ممن
اصيب في عقله ودينه قد رخص في بعض هذه الامور وهو مخطيء

وضع لله

في ذلك ضال مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين
فكل احد ماخوذ من قوله ومتروك الا قول ربنا وقول رسوله صلى الله عليه وسلم
فان ذلك لا يتطرق اليه الخطا بحال بل واجب على الخلق اتباعه في كل زمان
على انه لو اجمع المتاخرون على جواز هذا لم يعتد باجماعهم المخالف لكلام
الله وكلام رسوله في محل النزاع لانه اجماع غير معصوم بل هو من زلة
العالم التي حذرنا من اتباعها واما الاجماع المعصوم فهو اجماع الصحابة
والتابعين وما وافقه وهو السواد الاعظم الذي ورد الحديث على
اتباعه وان لم يكن عليه الا الغرباء الذين اخبرنا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء رواه
مسلم لا ما كان عليه العوام والطغام والخلف المتاخرون الذين
يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون تنبيه اعلم ان
المشركين الاولين لا يقولون بجواز الاستمداد في كل شيء وكل مطلوب
كما تقتضيه عبارة هذا المعترض لان الله تعالى حكى عنهم في كتابه انهم
يخلصون له الدعاء والطلب في الشدة والضراء كما قال تعالى واذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا
الله مخلصين له الدين الاية وبهذا تعلم ان قول هذا المعترض شر
من قول المشركين الاولين والله تعالى الموفق للصواب وسيأتي مزيد
لهذا عند الكلام على مسئلة التصرف ان شاء الله وقول هذا المنكر
للاستمداد مطلقا معتزلة ومن قصر على الانبياء ليس بمعتزلي
واظنه سمع انكار المعتزلة للكرامات واثبات بعضهم للمعجزات
فقط فظن ان هذه هي مسئلة الاستمداد وهذا جهل عظيم وخلط
وخيم بل مسئلة الاستمداد من الاموات نوع من الشرك الاكبر
الذي لا يغفر ولم يجوزه بحمد الله احد ممن ينتسب الى الاسلام لا
المعتزلة ولا غيرهم بل كلهم مجمعون على تكفير من فعله كما تقدمت حكايته

الاجماع عن شيخ الاسلام وليس هذا من المسائل التي تختلف فيها
الائمة سنيهم وبدعيهم بل هذه من اكبر دعائم الملة واعظم اركان
الاسلام لا يخالف فيها من عرف الاسلام وما جاءت به الرسل
عليهم الكرام وكم من رجل غلبت عليه العجمة فلم يفرق بين الاستمداد
الشركي الذي هو استمداد من غير الله قال الحسن رحمه الله دهتهم
العجمة وقال عمر وابن العلاء العرب وابن عبيد لما قال له ابن الله هو
لا يخلف وعده قال له من العجمة اتيت ان هذا وعيد لا وعد واشد
واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

بلغ

قال المعترض الشبهة الاولى ان الموتى لا يسمعون
لقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور وقوله انك لا تسمع الموتى واذا لا
سماع لهم فلا استمداد هكذا نقل المعترض ثم قال واجيب على ان الا
يتبه على لا يدلان على نفي السماع من الاموات لان معناها على التشبيه
والتمثيل والمراد هنا الكفار حقيقة ووجه الشبه عدم انتفاع
بالسماع او عدم الاجابة فكما ان الاموات لا ينتفعون بسماع ولا يجيبون
كذلك الكفار لا ينتفعون بسماع الموعظة ولا يجيبون للحق فيتبعونه
فانهم اموات قال صاحب معالم التنزيل في تفسير قوله انك لا تسمع الموتى
اي الكفار وقال القاضي في تفسيره في سورة النمل وانما شبههم بالموتى لعدم انتفاعهم لما يتلى عليهم كما شبههم بالصم في قوله ولا تسمع
الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وبالعمي في هذه الحال لعدم شوقهم حديث قتادة
في سماع اهل القليب وحديث انس في سماع الميت قرع النعال وحديث
بريدة وحديث ابن عباس في التسليم على الموتى واطال الكلام بما لا
طايل تحته وكلامه يدل على عدم علمه بما قاله وعدم شعوره بادلة
خصمه فانه نفى ان استمداد من الموتى وادعائهم عليه من الادلة ما

لا يمكن حصره ولا استقصاؤه وعبارته التي ساقها في نفي انتفاع الموتى
بالسماع وبما يتلى عليهم كافية في ابطال أن يستمد من الموتى ويطلبهم
ويستغيثه بهم وهذا والله اعلم هو مراده من نفي السماع عنهم ممن
حكى قولهم الفارسي وتصدى للرد عليهم ولا نعلم قائلا ينفي سماع الموتى
أن بهذا المعنى وما حكي عن ام المؤمنين في انكار السماع ثبت رجوعها
عنه لما بلغتها ان حادثا فاذا عرفت ان نفي السماع يطلق على من
لم ينتفع ولا يجيب وعرفت ان هذا هو الوجه في تشبيه من
لم ينتفع بسماع ايات الله من الكفار والفساق بالموتى وانه ليس التشبيه
به عن فرط جهل وتبلد لك ان عدم انتفاع الأموات بالسماع
من اوضح البديهيات والبينات على ان الميت لا يدعى ولا يستمد منه لأنه اذا
ثبت انه لا ينتفع فائدة هو الشيء بعينه بطل استمداده واستحالته
اجابته وفي الحديث الصحيح اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث
صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فاذا انقطع عمله
وكسبه لنفسه وعجز عن ذلك وحيل بينه وبينه فكيف يمد غيره او
يتصرف في شيء من ملك الله سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في
الأرض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واعلم ان مسئلة
السماع فيها كلام للمحققين لا يحيط به علما الا من فقه الله قلبه ودقق
في باب العلم نظره وفهمه واما غليظ الطبع قليل العلم باللسان
فهو بعيد على ادراك هذا الشان فتامل قوله تعالى والذين تدعون
من دون الله ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو
سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم الآية

فان

فان هذا الا يتنافيه دعوى نفي الاجابة فقط مع بقاء اصل السماع لئلا
يتحد فعل الشرط وجوابه وانه ظهر ان سماع الميت مقيد بحال دون
حال لا في جميع حالاته كما يشير اليه قول قتادة في اهل القليب وحال
ان الموات تختلف اختلافا عظيما والارواح بعد مفارقة هذا الجسم
شان لا يحيط بتفصيله الا الله تعالى وايضا فالفرق بين القرب
والبعد ثابت عند ائمة القائلين بسماع الموتى ومن زعم ان الاستمداد منهم جائز لا يفرق بين القريب والبعيد كما هو مشاهد ممن
يدعو الانبياء والصالحين ويستمد منهم وافضل الخلق صلى الله عليه وسلم
قد ثبت انه يبلغ صلاة امته مع البعد عن قبره ولا يسمعه فكيف
بغيره وانه استمداد من الموات هو اصل شرك العالم وضلالهم كما ذكر غير واحد في تفسير قوله تعالى وقالوا لا تذرن الهتكم ولا
تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فان هذه
اسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح فماتوا فعكفوا على قبورهم
وصوروا تماثيلهم بقصد التشوق الى العبادة ومحبة الصالحين
فلما ماتوا اولئك وبنس العلم قال من بعدهم انما كانوا يعبدونهم وبهم
يسقون المطر فعبدوهم وهو كما ترى صريح في انهم عبدوا لاجل الاستمداد واستسقاء المطر وذكر ابو الجوزي عن ابن عباس في قوله
تعالى افرايتم اللات والعزى قال كان يلت السويق للحاج فلما مات
عكفوا على قبره انتهى ولم يقصد هؤلاء سوى الاستمداد بالموتى
والصالحين وطلب جاههم وشفاعتهم ولولا ذلك لم تعبد وهذا
مطلوب كل مشرك كما قال الفارابي وابن سينا وغيرهما من اكابر المشركين ان الميت المقرب يفيض على روحه افاضات فاذا
علق الزائر قلبه وهمته به فاض على روح الزائر من روح المزور

من تلك الافاضات كما ينعكس النور والشعاع من الجسم الصافي المقابل
وهذا محض الشرك والكفران تعليق القلب والهمة بغير الله والله
قال على سواه تعالى هو عين الشرك الاكبر الذي انكره الفرار وكفر
اهله واباح دماءهم واموالهم لاهل التوحيد والايمان قال تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
اشد حبا لله وقال تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له وقال عن شعيب
عليه توكلت واليه انيب والفارابي وابن سينا من عباد الكواكب و
من الدعاة الى دين الصابئة المشركين الذين بعث فيهم ابراهيم
الخليل كما يعرف ذلك من وقف على كلامه تتمة ما تقدم لك من حكاية
قول المشركين واستمدادهم بالموتى والصالحين اخف ضررا واقل
كفرا ثم قال يستمد من الاولياء والصالحين كما زعمه الفارابي فان
هذا شرك في الربوبية والتدبير وذاك شرك في الالهية والعبادة
فلا تغفل عن غليظ شركهم وعظيم اثمهم **فصل** قال الفارابي
الشبهة الثانية ان الموتى لا علم لهم باحوال الاحياء العلم بالغيب مختص به
تعالى ليس لغيره لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و
قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب الآية وقوله تعالى
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقوله تعالى ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء الى غير ذلك من
الآيات مما يدل على نفي الغيب عما سواه تعالى واذا ثبت ذلك فكيف يستمد
ممن لا علم له بالحوائج خصوصا بعد الموت قال المعترض واجيب بانها
انما تدل على ثبوت العلم بالغيب له تعالى لذاته بذاته بمعنى انه لا يحصل
له من غيره ولا تدل على انتفائه عن عباده مطلقا بل يجوز ان يحصل له
مستفادا من الله بان يخلق الله فيهم بلا سبب او بالاسباب الخفية

كالوحي

كالوحي والالهام والرؤيا الصالحة او المشاهدة الحقة كما يدل عليه الاستثناء
في قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات
والارض وقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول قال القاضي في تفسيره الاول الا بما شاء ان يعلم وقال في
تفسير الثاني من رسول بيان لمن قال واستدل به على ابطال تو
الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك وغيرها ربما يكون بغير
واسطة وكرامات الاولياء باطلاعهم على المغيبات انما تكون تلقيا
من الملائكة كاطلاعنا على احوال الخرجة بتوسط الانبياء عليهم السلام
انتهى ثم ساق الفارسي ما جاء في مناقب عمر رضي الله عنه انه رأى سا
رية من مسافة بعيدة لا يرى ولا يسمع من مثلها في العادة فناداه
يا سارية الجبل ثم قال اذا علمت ان العلم على المغيبات قد يحصل لعبا
د الله الصالحين باعطائه اياهم والعلم صفة للنفس انعم الله تعالى عليهم
بها وهي باقية بعد مفارقة البدن فيجوز ان يكون حاصلا لهم بعد
ها على وجه اتم واكمل لانها بعد المفارقة تتخلص عن الكدورات البد
نية وتنقشع عنها الظلمات الجسمية وذلك لان الله لم يكن ليغير انعمة
انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم فكيف يقوم يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم حتى اشتغلت في قلوبهم من كثرة الذكر نار
الشوق والمحبة واشتد حبهم يوما فيوما فزاد واجبا على حبهم وشوقا
على شوقهم فيصيرون فانين في الله باقين به فبالله يسمعون وبه يبصرون
وبه يبطشون ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
واذا كان حالهم في الحياة كما ذكرنا فاي سبب حدث وازال عنهم كرامتهم
قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا يلحقهم مكروه ولا يفوتهم مأمول

هكذا فسره القاضي في تفسيره ثم ساق الفارسي آثارا تروى منها حديث
انس في عرض اعمال الاحياء على اقاربهم وعشائرهم من الموتى وحديث
ابي ايوب وحديث جابر وحديث النعمان والمعنى متقارب ثم ذكر عن
المشكاة اذا قال العبد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصاب كل عبد
صالح في السماء والارض ثم قال ملا قاري في المرقات في شرح قوله صلى
الله عليه وسلم ولا تجعلوا قبري عيدا فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم انه قال
القاضي وذلك ان النفوس الزاكية القدسية اذا تجردت عن العلائق
البدنية عرجت واتصلت بالملأ الاعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل
كالمشاهد بنفسها او باخبار الملك من السر له وايضا قال في المرقاة
في شرح حديث ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علي فيه من
الصلاة فان صلاتكم معروضة علي يعني على وجه القبول فيه والا فهي
دائما تعرض عليه بواسطة الملائكة الا عند روضته فيسمعها بحضرته
ثم قال في شرح آخر الحديث واما على ما قدمه الطيبي فانما يفيد حصر
العرض والسماع بعد الموت بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وليس الامر
كذلك فان سائر الاموات ايضا يسمعون السلام والكلام ويعرض
عليهم اعمال اقاربهم في بعض الايام انتهى المقصود من كلامه ف
الجواب وبالله التوفيق ان يقال هذه المسئلة بينها الله تعالى
في كتابه بيانا شافيا بنصوص صريحة لا تحتمل التاويل ولا تقبل
التحريف والتبديل وتاويل هذا الفارسي لتلك النصوص من جنس تا
ويلهم الجهمية لايات الصفات واحاديثها ومن جنس تحريف القرامطة
والباطنية لايات الامر والنهي والوعد والوعيد ومتى سلط التاويل
على ادلة الرسل وما جاءوا به فقد عدم الله لم يبق شيئا منها فنعوذ بالله
من الحور بعد الكور ومن الضلال بعد الهدى ومن الغي بعد الرشاد قال

تعالى

تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقال قل لا اقول لكم عندي خزائن
الله ولا اعلم الغيب وقال قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
وقال لنبيه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من الخير وقال ولله غيب السموات والارض
وقال له غيب السموات وقال المسيح سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك
انت علام الغيوب وقال الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك
لك في كتاب ان ذلك على الله يسير فمدح تعالى نفسه واثنى عليها بانفراده واختصاصه بعلم الغيب دون خلقه فانه كمال العلم واحاطته بجميع المعلومات كليها وجزئيها وصف كمال استحق به تعالى ان يطاع ويتقى ويرجى ويعبد وعلم الخلائق اجمعين بالنسبة الى علمه تعالى كنسبة ما ياخذه العصفور في منقاره من البحار كما في قصة موسى والخضر انهما لما ركبا في السفينة جاء عصفور فنقر في منقاره من البحر فقال الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من البحر فمن تقرر هذا لديه وآمن بما دل عليه لم يلتفت الى تحريف معطل ولا الى رأي مجادل مبطل فقول هذا الفارسي وامثاله انها انما تدل على ثبوت العلم بالغيب له تعالى لذاته بذاته بمعنى انه لا يحصل له من غيره ولا تدل على نفيه عن عباده مطلقا قول باطل وتحريف عاطل فان بعض هذه الايات صريحة في النفي عن غير الله تعالى واثبات ذلك له تعالى فدلت على امرين نفي واثبات وحق وعدل كما دلت عليه كلمة الاخلاص ومن قال ان المعنى انه يعلم نفسه وليس في ذلك نفي عن من سواه تعالى فهو كمن يقول ان لا اله الا الله دلت على اثبات الهيته وليس فيها نفي الالهية عن غيره تعالى فهو من قول هؤلاء علوا كبيرا وهذا التحريف من وحي الشيطان

الذي قصد به رد ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ومن دانا به فقد
انسلخ من الاسلام والعياذ بالله ولا يمر على سمع الموحد اسمح من هذا
التحريف واشنع منه ومنه الذي ادعاه ان علمه تعالى حاصل له من غير
حتى يقصد رد قوله بهذه الايات هذا لا يقوله احد ممن اثبت للعالم صانعا
مدبرا وابن قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو من هذا
المعنى الذي اورده الفارسي فان صريح الاية نفي علم مفاتح الغيب عن
غيره وكذلك قوله لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله فنبه
نفي علمه عن كل من في السموات والارض الا الله تعالى وهي صريحة في النفي
عن غيره كالتي قبلها فكلاهما دال على معنيين ثبوت علمه بذاته ونفي ذلك
عمن سواه وابطال شرك قول الفارسي انها لا تدل على نفيه عن عباده
وكذلك قل له لنبيه قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب صريح
في نفي علم الغيب عن سيد ولد آدم فضلا عن غيره وكذلك قوله ولله
غيب السموات والارض تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر اختصاصي
والحصر فعلم الغيب له تعالى لا لسواه وقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير هذا يفيد اختصاصه
تعالى وانفراده بعلم الغيب لأن السياق لبيان الكمال والمدح والثناء على
نفسه تعالى ولو ثبت ذلك لغيره لفات المقصود من السياق وكذلك قول
المسيح يشير الى هذا كما يدل عليه اقحام الضمير بين خبر ان واسمها وكما يفيده
التاكيد بان وفي الخبر ان جويرة تغنت بقولها وفينا رسول الله يعلم
ما في غد فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها دعي هذا وقولي بغيره وفي
حديث عمر في سؤال جبريل عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له في خمس لا يعلمهن الا الله وتلا قوله تعالى ان الله
عنده علم الساعة الاية وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا

رأى ربه فقد كذب ومن زعم ان احدا يعلم الغيب فقد كذب وما دلت عليه
الايات من انه استثنى في بعضها كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما
شاء وقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا فهذا يدل على امرين ٢ الامن (ارتضى) ح
تاكيد النفي وتحققه واخراج بعض ما فراد اليه يعلمها من شاء الله كما
يعلم بالوحي ونحوه والواجب علينا اتباع ما انزل الله على محمد صلى الله
عليه وسلم من الكتاب والحكمة وترك ما انتحله المبطلون من مرج النصوص
بانواع التحريفات والتأويلات المصادمة لمدلول النصوص وتامل قوله
تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة و
هو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها الاية كيف تجد تحته من اثبات الحمد والثناء المطلق على نفسه
المقدسة بما دلت عليه هذه الايات الكريمات ولو قدر لمشاركة غيره في
ذلك لفات الحمد المقصود ولما ناتى هذا الثناء بما يشاركه فيه مخلوق
ضعيف قال مالك ابو انس رحمه الله وكما جاءنا رجل اجدل من رجل
تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم او كما قال وقد ذم الله اليهود
بتحريف الكلم عن مواضعه فقال تعالى ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به الاية وفي الحديث لتتبعن سنن من
كان قبلكم حذو القذة بالقذة فهذا التحريف انما عرف عن اليهود واما
ما جاء مما استثنى في بعض الايات كقوله تعالى في اية الكرسي ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض وقوله عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وكذلك اخباره
صلى الله عليه وسلم عن اشياء وقعت فيما مضى واخباره عن اشياء تقع
في امته فهذا ونحوه امر جزئي بالنسبة الى ما اختص الله بعلمه
كما مر في حديث موسى وقول الخضر له ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما

نقص هذا العصفور من البحر وهذا بالنسبة الى علم الله وان كثروا
وسع بالنسبة الى علوم الخلق فان ما يحصل لرسل الله من العلوم والمعارف لا نسبة بينه وبين علم الله الذي احاط بكل شيء واحصى كل عدد
وهذا الجزئي لا يفيد ان من علمه فقد علم الغيب او انه ناسخ للنصوص العامة المطلقة غاية ما هناك اثبات ما دل عليه الا ستثنى في الايات
كبعض افراد الجزئية وهو لا يمنع العموم بل العام باق على مفهومه
كما لا يخفى على من له ادنى مفهوم وبهذا تعلم بطلان دعوى هذا الفارسي
وامثاله ان الاموات يعلمون الغيب فان هذه الدعوى مصادمة
ومصادرة لما مر من النصوص وان الغيب اسم يقع على كل ما غاب
عن الخلق من العلوم والمعارف وما كان وما يكون وما لم يكن لو كان
كيف يكون كما قال العلامة ابن القيم في معنى اسمه العليم شعرا

وهو العليم احاط علما بالذي ... في الكون من سر ومن اعلان
وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدا وما ... قد كان والموجود في الازمان
وكذاك امر لم يكن لو كان ... كيف يكون ذا امكان

فمن عرف هذا عرف انه لا يجوز اطلاق القول بجواز حصول علم الغيب لاحد من الخلق ومن المستحيل عقلا وشرعا وجود من يعلم كعلم الله اليس كمثله شيء وهو السميع البصير ومن جهل هؤلاء القبوريين اطلاق هذه العبارة الموهمة والترويج على العوام بان الا ستثنى يدل على ان ثم وليا يعلم الغيب وهذا كما ترى من اعظم الجهل واقبحه قال العماد ابن كثير في تفسير قوله قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب في هذه الآية الكريمة دليل على ان الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من انه عليه السلام لا يعلم الغيب فحديث مرفوض كذب لا اصل له

ولم نره

ولم نره في شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم سيال عن الساعة فلا يجيب عنها ولم يدر فيها بتداله جبرئيل عليه السلام في صورة اعرابي كما فيما سالها ان قال يا محمد اخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل وقال في قوله علم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول هذا كقوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وهكذا قال ههنا انه يعلم الغيب والشهادة حتى انه لا يطلع احدا من خلقه على شيء من علمه الا بما اطلعه تعالى عليه ولهذا قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وهذا الرسول الملكي والبشري ثم قال فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ان يخفضه بعزيد معقبات من الملائكة ليحفظونه من امر الله وبيا وقونه على ما معه من وحي الله ولهذا قال ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا ثم ذكر ان ضمير في قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم قلت فتامل سياق الاية فانه ابتداء الكلام بقوله قل ان ادري اقريب ما توعدون فنفى من علمه بقرب ما يوعدون وهو الساعة وذكر بعد هذا علمه تعالى وانه لا يظهر على احد من خلقه الا من ارتضى من رسول ملكي او بشري وذكر الحرس والرصد الذين يكونون بين يديه ومن خلفه يحفظونهم وهم المعقبات الذين يحفظونه من امر الله ثم قال ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم فعقد السياق فيه دلالة وبيان للمعنى المراد من الا ستثنى وان ذلك هو وحيه الذي يوحيه الى رسله من كلامه ورسالاته وهي بالنسبة الى علم الله كنقطة من بحار الدنيا في جنب تلك البحار واعظم من ذلك قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم فاذا كان هذا الحال بكلامه فما ظنك بعلمه تبارك وتعالى فمن

زعم ان احدا يعلم جميع الغيب فقد اساء الادب على الله تعالى وتقدس وما
قدر والله حق قدره والكرامة كذلك كرامات الاولياء وهو ما يثبت
للانبياء بكثير بل لا نسبة بينها وبينه لا في الكمية ولا في الكيفية و
قول الفارسي نقلا عن البيضاوي واستدل به على ابطال الكرامات
وجوابه تخصيص الرسول بالملك وان ظهر ما يكون بغير واسطة و
كرامات الاولياء باطلاعهم على المغيبات انما يكون تلقيا من الملائكة
كاطلاعنا على احوال الاخرة بواسطة انبياء عليهم السلام انتهى وهذا
الكلام فيه نظر ظاهر فان الرسول اعم من الملكي والبشري وعبارة
السلف دالة على ذلك وان ظهر ما هو اعم من ان يكون بواسطة او بغيرها
واكثر الرسل انما يظهرهم على ذلك بالوسائط كما قال تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء واطلاع الاولياء على شيء من الغيب هو من الالهام الذي يتضمنه
الوحي ولا تقييد بالتلقي عن الملك كما قال تعالى واوحينا الى ام موسى ان
ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم وهو اعم من ان يكون بواسطة
او بغيرها فكلام البيضاوي مردود والمعروف في حد الكرامة انها خرق
الله العادة لوليه من غير تحد كما في قصة عمر وقصة اصف وقصة
مريم وكما يذكر عن ابي ادريس الخولاني وعن ابي العلاء الحضرمي وامثالهم
اوذلك ونحن داخلون في عموم قوله الا بما شاء وقد دخل فيه ما يحصل
للانبياء عليهم السلام بواسطة وبغير واسطة ولكن لا يقال ان احدا
ثبت له هذا الجميع انواع الغيب كلية وجزئية لان ذلك لا يكون الا
الله كما قال عن الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال عن المسيح
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب وقال
لنبيه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم

الغيب

الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان هو الا عبرة هنا بالمكابرة والدعوى المجردة عن الدليل والبرهان كقول بعض الضالين
ان اخذ ذلك يتأتى للاولياء على سبيل الكرامة فان هذا الا دليل عليه من كتاب
ولا من سنة بل ولا قاله من يعتد به من هذه الامة وانما يعرف عن غلظ
عن معرفة الله ومعرفة حقه حجابهم وكثرة في بيده وحيرة ريبهم واضطرابهم وعجزت عن معرفة قدره وعظمته وعموم علمه بالهم واما
قول الفارسي العلم صفة للنفس العالم بها وهي باقية بعد مفارقة
البدن فيجوز ان يكون حاصلا لهم بعدها على وجه اتم واكمل الى آخر
عبارته فيقال هذا من عجائب جهلهم فان الذي خلق الروح وصورها وعلمها وقبضها وخلصها من الكدورات البدنية وقشع عنها
الظلمة الجسمانية هو الذي اخبرنا ان عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
ويعلم ما في البر والبحر اه بيته والله لا يعلم من في السموات والارض الغيب
الا الله وهو القائل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك وهو المخبر عن الملائكة الذين خلصوا
من الكدورات وخلقوا من النور سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وهو
المخبر عن عبده ورسوله المسيح ابن مريم عليه السلام انه يقول يوم العرض
الاكبر وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم وانت على كل شيء شهيد وهو جل ذكره القائل ولله غيب السموات
والارض الاية فسبحان الله ما اجهل من زعم الغيب لغير من له علم من
حي او ميت وما اضله عن سواء السبيل كيف يعارضون النصوص
بهذا الكلام المموه المزخرف ويعتمدون عليه ويبنذون كتاب الله
وراء ظهورهم ويقال لهذا قد تقدم من الايات والاحاديث ما يدل
على ان الحي لا يعلم جميع الغيب وان علمه وان عظم قدره بالنسبة الى علم

الله كنسبة ما يأخذ العصفور في منقاره من البحر واذا كنت هنا
حاله في الحياة فكيف بحاله بعد الممات واطلاعه على بعض الجزئيات
لا يدل على علمه بجميع المغيبات وايضا فالذي ذكره الفارسي لا
ينتج الدعوى لانها واه تخلصت من الظلمات الجسمانيه والكدورات
البدنيه فلم تخلص من التبعات الكسبيه وما اجترحته من الحياة
الدنيويه واه تخلصت على وجه الكمال فهي مشغولة بما هي فيه
من العالم الاخروي واللذة الحاصلة بالنعيم والجنة والكرامة
وعالم الارواح عالم عظيم وحالها فيه حال لا تدرك بمجرد العقل و
القياس وانما تعرف بالنصوص الواردة في ذلك والدالة عليه واما
قوله ذلك بان الله لم يكد يغير نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم الى اخر ما قال من ذكرهم الله واشتعال نار الشوق والمحبة
في قلوبهم وانهم يصيرون فانين في الله باقين به بله ليسمعون وبه
يبصرون ونحو ذلك فمن احتج بهذا على انهم يعلمون الغيب فهو كمن
يحتج بهذا على انهم يتصرفون وينفعون ويضرون ويدعون لذلك وقد
يقال لهذا المشبه متى ثبت ان الله اعطى احدا من خلقه
علم الغيب كليه وجزئيه في حياته او بعد مماته ومن الذي اثبت
هذا حتى يقال ان ذلك باق لها لا يغير مع ان بعض التغيير وجنسه
يحصل بالموت الذي هو التغيير من الحياة الى الممات ومن الوجود الى الفناء قال تعالى
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وطرد كلام الفارسي
ان يقال انهم باقون لان الله لا يغير نعمته عليهم هذا لو فرض ثبوت ذلك
في حال الحياة تكليف وذلك قد دلت النصوص والبراهين وكونهم لذ
كرون الله قياما وقعودا ويثنون به عما سواه ويسمعون به ويبصرون
ويبطشون به فهذا يفيد تحقيق التوحيد وان اعمالهم وحركاتهم خالصة لله

وقعت

وقعت بالله ولله فهم قد حققوا معنى اياك نعبد واياك نستعين وهذا
هو محض الاسلام وجزيل الفضل والانعام واصحاب هذه الحوال وهذه
المقامات تبقى كرامتهم في الدار الاخرة بمعنى اثابتهم وعلو درجتهم ولذتهم
بما حصلوه من حقايق المعارف ولطايف الكرامة وقوله تعالى
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يدل على هذا كما ذكره
البيضاوي ونقله عنه الفارسي لكنه وضعه في غير موضعه واستدل به
على غير ما سيق له فان المعنى الذي دل عليه كلام السلف انهم لا خوف
عليهم على امامهم يقدمون عليه ولا يحزنون على شيء مما خلفوه وهذا
لا دليل فيه على ان احدا يعلم الغيب ثم ساق الفارسي اثارا
تروى في عرض بعض اعمال الاحياء على اقاربهم وعشايرهم من الموتى كحديث
ابي ايوب وحديث جابر وحديث النعمان والمعنى متقارب وهذا
لا يدل على الدعوى بوجه من الوجوه لانه من جنس اطلاع الحي على بعض
الجزئيات والكلام والبحث انما هو في الكل والجميع لا في بعض الجزئيات
وليس هذا الجزئي ثابتا لكل احد من الاموات فان الاحاديث لا عموم
فيها ولا تدل عليه بل هي خاصة باطلاع البعض على بعض الاعمال لا كلها
واما فقر العبد وحاجته ومصلحته ومفسدته وغير ذلك وظاهره و
باطنه وشاهده وغايبه فلا يعلمه الا الله الذي يعلم السر واخفى ومن
العجب استدلاله هؤلاء بما هو حجة عليهم لا لهم فان هذه الاحاديث فيها
انه يعرض على الميت عمل قريبه وولده واذا كان يعرض عليه فعلمه قاصر على
نفس المعروض لا يتعداه الى غيره واذا اختص بالقريب ففيه التنبيه على
انه لا يعلم عمل غير قريبه واذا اختص بالعمل دل على انه لا يعلم غيره من عموم
الحوال في الاحاديث والقرائن حجة عليهم لا لهم والحمد لله واما كلام
ملا القاري في شرح قوله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبري عيدا فان صلاتكم

تبلغني حيث كنتم قال نقلا عن القاضي وذلك ان النفوس الزكية القدسية اذا تجردت عن العوائق البدنية عرجت واتصلت بالملاء الاعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهدة بنفسها او باخبار الملك عن السر له فلعل هذا مبنيا على كلام ابن سينا ومن وافقه من الفلاسفة القائلين بان الكتب المنزلة فيضة فاض من العقل الفعال على النفوس المستعدة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث يتوهمها اصواتا تخاطبه وربما قوي الوهم حتى يراها اشكالا نورانية تخاطبه وربما قوي ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمعارف من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء واقوال هؤلاء دخلت على كثير من الناس اما باطني ملحد وجاهل لا يدري اصول الاقوال ومذاهب الناس كشارح المشارق واذا كان هذا قولهم في النبوة وانها مكتسبة على هذا الوجه فلا يبعد ان يقولوا بان الارواح اذا تجردت ادركت علم الغيب وصار الكل لها كالمشاهدة فنعوذ بالله من بنيات الزائغين وضلال الضالين وتحريف الملحدين وانتحال المبطلين والذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا تجردت عن الجسم حال موته يعرج بها فان كانت روحا طيبة فتحت لها ابواب السماء وعرج بها الى الله تعالى ثم تكون طائرا يعلق في شجر الجنة وارواح الشهداء في جوف طير خضر تسرح في الجنة هذا الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله يعرف ذلك من عرفه من اهل العلم والايمان واما هذه الاقوال المبتدعة الباطلة تصدر عن معصوم بل ربما صدرت عن من لا يحكم باسلامه كابن سينا

واشباله

وامثاله من الفلاسفة المنتسبين الى الاسلام وهم من ابعد الخلق عنه وقد يقولها من يحسن الظن بهؤلاء ممن يخفى عليه حالهم ولا دراية له بما قال الخلق ومذاهبهم والعصمة والسلامة في الاعتصام بحبل الله الذي هو كتابه ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وما عدا ذلك اوخالفه فلسنا منه في شيء قال الفارسي الشهاب الثالثي ان الانبيا لا تصرف لهم يعني لا قدرة لهم على ايصال الخيرات ودفع المضرات في الحياة لقوله تعالى قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كان حالهم هذا في الحياة فما ظنك بهم او بغيرهم في الممات قال الفارسي اجيب بان المراد نفي الملكية اي استقلالية والقدرة الذاتية الكاملة عن غير الله تعالى مطلقا كما يدل عليه الاستثناء وقال صاحب معالم التنزيل الا ما شاء الله ان املك فالا يتاء ونحوها تدل على ان ثبوت القدرة الكاملة لله تعالى بذاته لا من غيره ولا تدل على النفي مطلقا بل يجوز ان تكون حاصلة لعباده مفاضا منه و يجوز ان يكون للنفوس الكاملة تصرف في العالم من جهته تعالى بان يجعلهم متصرفين فيه مدبرين باذنه ويستجاب لهم دعاهم ويتقبل شفاعتهم وينفذ لهم تصرفاتهم والمدبر المتصرف حقيقة هو الله والانبيا عليهم السلام والاولياء في صدور التصرفات والكرامات عنهم في الظاهر مظاهر لتصرفاته تعالى كالمرآة المجلوة المفصلة اذا استنارت من الشمس صارت منورة للاجساد المظلمة ويجوز ان تكون حالهم بعد مفارقة ارواحهم عن الابدان في التصرفات كحالهم قبلها بل اتم واصفى واكمل واجلى والمجيب عن هذا الكلام ان يقال ان التصرف لفظ عام وعبارة مطلقة يدخل فيها التدبير والتغيير وسائر انواع الايجاد وانواع احداث والابداع والتاثير والتسخير وغير ذلك من افعال الربوبية التي تختص به تعالى وكذلك الاسباب العادية

بلغ

التي تقع من عموم الخلق والأول هو الذي قصده بقوله ودعوى حصول هذا
المخلوق مصادمة ومصادرة لنصوص الكتاب العزيز المصدق ومفتح
لباب الالحاد والشرك الحقيق فان هذا اصل اعني اختصاصه سبحانه
بالخلق والابداع والتدبير والتصريف هو اكبر اصول الاسلام واجلها
وقاعدته العظمى التي تدور عليها جميع احكام وجميع القرآن من اوله
الى آخره يدل على هذا الأصل ويقرره وقد احتج به تعالى على وجوب عبا
دته وطاعته وانه الاله الحق دون ما سواه قال تعالى الحمد لله رب
العالمين فاثنى على نفسه بعموم ربوبيته المتضمنة لخلقه وتدبيره
والهيته وقال تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من
قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل
من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا و
انتم تعلمون وتامل هذه الآية كيف استدل بفعله وتدبيره وخلقه
وتصريفه على وجوب عبادته وتحريم اتخاذ الانداد له وخص ما ذكر في
الآية لانه اصل يندرج تحته ما سواه من الجزئيات ولانه مشاهد محسوس
يدركه كل احد حتى البليد الذي لا يدرك سوى الحسيات ولما في ذلك من
بديع الصنع والآتقان وظهور القدرة والشان فجعل الارض فراشا
والسماء بناء مع عظمها وسعتها وما اودع فيها من الآيات وجعل الخلق
قات وانواع التدبيرات الكليات والجزئيات مما يدل على انفراده
تعالى واختصاصه بهذا الأصل العظيم وفي ذلك انزال المطر من السماء
على التصريف المخصوص والتدبير المتقن المحكم وجعله اصلا لمادة ارزاق
المخلوقات على اختلاف اجناسها وانواعها واتباين اصنافها واشكالها
مما يدل على ان الله هو المنفرد بالتصريف والتدبير وحده لا شريك له فبطل
بنص هذه الآية وعمومها ما زعمه هذا الملحد ان السماء والأرض وما فيها

من

من المخلوقات وان الرزاق فيها بطريق التنصيص والعموم وما عداها فبطريق
النحو والأولى وقال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنز
ع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك
على كل شيء قدير الآية فان فيها من الرد على من قال بان ارواح المشائخ تتصر
ف مالا تتسع لبسطه هذه الفتوى ولكن نشير الى ذلك اشارة فان اعطاء
الملك ونزعه والعز والذل يدخل تحتها من افراد الكائنات والجزئيات
في الدنيا وان خرج ما لا يحصيه الا الله وفي قوله بيدك الخير ما يدل على ان
جميع الخير كله وجزئيه بيده سبحانه لا بيد غيره كما يفيده الحاء و
الجار والمجرور فاي فرد يخرج عن هذا ديبقى للمشائخ او غيرهم وفي قوله تولج
الليل في النهار ما يدل على انه المختص بتصريف الاعصار والدهور ليس
لاحد معه شركة وفي قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
ما يدل على انه المختص باخراج ما شاء ايجادها فيخرج الضد من الضد
والجنس من الجنس والمماثل من المماثل وقوله وترزق من تشاء بغير
حساب فيه اختصاصه بالتصرف في ارزاق عباده الباطنة والظاهرة
وان مصدر ذلك مشيئته النافذة في اي شيء يبقى بعد هذا للانبياء و
المشائخ لو كانوا يعلمون وقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم وهذه الآية
الشريفة عامة لكل تدبير وتصريف في الدنيا وان خرج من جميع الخيرات
وسائر الآيات فهو الذي يمن بذلك ويفتحه لمن يشاء من عباده وما
يمسك فلا وجود لمرسل له من بعده وقوله وهو العزيز الحكيم فيه
تنبيه على موجد التدبير والتصريف ومصدرهما وانه تعالى اختص بذلك
لانه المتفرد بالعزة والحكمة كما يعلم من تعريف الجزئيين واذا اختص
به ولم يتصف به غيره فاي شيء يتصرف ذلك الغير ويدبر وقال تعالى

تقديم

يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
وفي عرض الاية امر عباده جل ذكره ان يذكروا هذه النعمة العظيمة
وهي اختصاصه وتفرده بخلقهم ورزقهم من السموات والارض والرزق
والخلق يدخل تحتهما كل تدبير وتصريف من الامور الباطنة والظاهرة
ولذلك قال بعد هذا الا الله الا هو فانى تؤفكون فاستدل بربوبيته و
عمومها على الهيته ووجوب عبادته وطاعته ثم قال فانى تؤفكون انكارا
عليهم فيما صنعوه من الاعراض عن عبادته والاعتراف بالاهيته مع
قيام برهانها الاكبر ودليلها الاعظم وهو ما ذكر في صدر الاية وهو سبحانه
كثيرا ما يستدل بربوبيته وخالقيته ورازقيته على الهيته وعبا
دته كما قال تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وقال والذين تدعون
من دونه لا يخلقون شيا وهم يخلقون وقال ايشركون ما لا يخلق
شيا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فلو
قيل بان غيره يتصرف لكان هذا هو الاصل وابطالا لهذا البرهان
وقال تعالى عن خليله ابراهيم انه قال لقومه افرايتم ما كنتم تعبدون انتم و
اباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو
يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي
يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين انظر الى ما تضمنته
هذه الاية الكريمة من تقرير بعض افراد ربوبيته تعالى لخليله ابراهيم
افضل الرسل بعد نبينا عليهما الصلاة والسلام من خلقه وهدايته وا
ختصاصه تعالى باطعامه واستاغره وما معنى اتيان ضمير الفصل
في هذه الجملة دون غيرها من الجمل وكذلك شفاؤه اذا امرض واختصا
صه باماتته واحيائه بعد الموت وتعليق الطمع به تعالى وحده في
مغفرة خطيئته يوم الدين هذا الكلام صدر عن خليله اعلم العالمين به

مستدلا به

مستدلا به على الهيته تعالى وحده والبراءة مما عبد من دونه من الانداد
والاله على اختلافها وتنوعها وحاكاه شيخ عنه مشيا عليه به مقررا له
راضيا به عنه فهكذا حال انبياء الله واوليائه عليهم الصلاة والسلام فليت
شعري ماذا يقول الملحدون في مثل هذه الايات الكريمات وسيأتيك
ابطال تاويله الفاسد الذي مر في حكاية كلامه آنفا وقال تعالى وما
بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون وقال هو الذي
انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الى قوله
الهكم اله واحد فان في هذه الايات من تقرير الاختصاص بالتدبير
والتصريف في الكليات والجزئيات مع اختلاف انواعها ما هو مستدلال
بذلك على الهيته وحده لا شريك له مما لا يتسع لتقرير هذا الموضع
واللبيب يدرك ذلك بمجرد تلاوة هذه الايات وكذلك الحال في قوله في
سورة الواقعة افرايتم ما تمنون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا
للمقوين وكذلك قوله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ففي هذه الاية اعظم دليل واقوى حجة
على ابطال قول من زعم ان الارواح او نبيا والمشايخ تنصرف وتدبر او
لك من وجوه ظاهرة متعددة في الاية وكذلك قوله ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل
النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق و
الامر تبارك الله رب العالمين فقف عند هذه الاية وتدبر ما فيها
من العلوم والمعارف فانها اصل عظيم وبرهان ظاهر مستقيم يكفي
من ارشده الله هدايته وقد سبق طرف منها قال بعض السلف وهو ابن
سميط دلنا ربنا على نفسه بهذه الاية يشير الى ان افعاله شاهدة

بربوبيته والهيته دالة على ذلك ولم يكن في هذه الاية ان قوله
الا له الخلق والامر كما زعم فيما في رد قول هؤلاء الملاحدة وقال تعالى
لنبيه ليس لك من الامر شيء وقال لله الامر من قبل ومن بعد والا لا
ستغراق المفيد لعدم خروج فرد من افراد لسوالا وقال تعالى وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
وقال تعالى لنبيه قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا وقال قل لا املك لنفسي
ضرا ولا نفعا وقال قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب فهذه
الايات تقطع اصول شجرة الشرك والالحاد وترد مذهب اهل الغفا
يلية بان لارواح المشائخ تصرفا وتدبيرا في الكون تعالى الله عن
قولهم علوا كبيرا وفي الحديث القدسي الذي رواه ابو ذر الغفاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى يا عبادي
كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي كلكم جا
ئع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي انكم تخطئون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم الحديث
وفي حديث النزول الالهي اذا بقي ثلث الليل ان الله تعالى يقول لا
اسال عن عبادي غيري ويروى ان الله اوحى الى داود انه لا يعتصم لي
عبد من عبيدي دون غيري اعرف ذلك من نيته فتكيده السموات
والارض الا جعلت له فرجا ومخرجا ولا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق
دوني اعرف ذلك من نيته الا قطعت اسباب اسماء ما بينه وبين
الارض من تحت قدميه ثم لا ابالي باي واد هلك وقول المعترض
في الجواب عن الايتين ان المراد نفي الملكية الاستقلالية والقدرة
الذاتية الكاملة عن غير الله لا مطلقا كما يدل عليه الاستثنى الى
اخره فالجواب ان هذه الشبهة انما نشاءت عن الجهل بمعاني

كلام الله

كلام الله وباللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم فانه تعالى لم يقل لا
ملك لنفسي نفعا ولا ضرا عام لكل فرد من افراد وجزئي من الجزئيات
لا يخرج عنه شيء وان قل لا على سبيل الاستقلال ولا غير وكذلك
فيه نفي القدرة العامة المطلقة ولم يقل احد من الخلق باثبات الملك
المستقل والقدرة الذاتية لغير الله تعالى الا من عطل الصانع ولم
يثبت للعالم ربا مدبرا والاية سيقت لخطاب من يعترف بالربوبية
ويثبت الصانع ولا يقول بالملك الاستقلالي كفار العرب
المقرين بالربوبية المشركين في العبادة والالهية وعبارات المفسرين
تدل على هذا انه نفى جميع انواع الملك وان لم يكن استقلالا والعر
بي يدرك ذلك بذوقه وعرفه بيته ولا يحتاج فيه الى برهان وكذلك
قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الاية فانها
دلت نصا على انتفاء وجود كاشف لما يمسه الله به من الضر وعلى
انتفاء رادا دما دفع نفعا لما اراده تعالى به من خير وفضل وهذا اعم
من ان يكون بطريق القدرة الذاتية او بغير ذلك كما هو صريح الاية
وقد تقدم لهذه الايات نظائر تدل على اختصاصه تعالى بالامر والتد
بير والنفع والضر وانما شاء الله كان وان لم يشا الناس وعالم يشا لم
يكن وان شاء الناس وفعله يجوز ان يكون للنفوس الكاملة تصرف
في العالم من جهته تعالى ان اراد ان ذلك يحصل بغير الاسباب العادية
كما يدل عليه هو وامثاله لارواح المشائخ والصالحين فهذا كذب وتجو
يز للشرك والباطل والضلال وقد تقدم رده وان اراد ان اسباب
العادية في الحياة الدنيوية كالذي ايشترك فيه المؤمن والكافر
والبر والفاجر والانس والجن فهذا النوع لا يطلق عليه ان الله جعلهم
متصرفين مدبرين وهذا جهل عظيم ومع هذا فلا يجوز ان يعامل

منهم كل شيء ويقصد بما لا يقدر عليه الا هو (اه) قوله والا نبياء والاولياء
في صدور التصرفات والكرامات عنهم في الظاهر مظاهر لتصرفات الله تعالى
كالمرآة المجلوة المتصلة اذا استنارت من الشمس صارت منورة
للاجساد المظلمة فهذه العبارة تمويه وترويج للباطل وحقيقتها
ان العباد تتصرف في العالم ويدبرون امره ويقصدون امور عنهم لأنهم
مظاهر والقائلون بان الخلق مظاهر لذاته هم اهل الحلول والمعطلة
لوجود الصانع وربوبيته ومباينته لمخلوقاته وهم من اكفر خلق
الله واضلهم فانهم يعبدون كل ما استحسنوه ومالت نفوسهم اليه
لظنهم انه مما مظاهر الحق والقائلون بان ارواح الاولياء في صدور
التصرفات عنهم مظاهر لتصرفات الله تعالى فيهم مشابهة قوية للحلولية
ولعل هذه العبارة انما اخذت عنهم بيد ان ذلك انما ان اراد ان
سباب العادية الحسية فهذا لا يختص بالانبياء والاولياء وان اراد
ما هو اعم من ذلك مما ان الامور الباطنية والتدبير بالقوة المؤثرة
فهو شبيه بالقول بالعلل مشتق منه كذا قال الذي من قبلهم
مثل قولهم تشابهت قلوبهم وقوله ويجوز ان تكون حالهم بعد مفارقة
ارواحهم عن الابدان في التصرفات كحالهم قبلها بل اتم واصفى
جواب ان حالهم قبل المفارقة حال عبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا
ولا حياة ولا نشورا كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اني لا املك لكم ضرا
ولا رشدا وقال ليس لك من الامر شيء وقال تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء فاذا كانت هذه حاله صلى الله عليه وسلم فاظنك
بغيره من سائر الخلق واذا تحدث الحالة بعد المفارقة واقبلها فليس
فيها حجة للمعترض لانه لا يملك ولا يتصرف لا في حياته ولا في مماته هذا ان
ان الحال مستمرة في الحياة وبعد الممات والذي دل عليه كتاب الله وسنة

رسوله

رسوله واجماع الائمة ان الحال بعد مفارقة الارواح للابدان ليست
كحال الحياة من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها ويكفي المؤمن قوله صلى
الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او
علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فهذا الحديث يدخل تحته جميع اعمال
البر الباطنة والظاهرة وانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وان ارواح السباب
العادية الحسية تزول بالموت فكيف بغيرها واذا كان لا يملك لنفسه
شيئا وعمله قد انقطع فكيف يتصرف ويدبر ويستمد منه وتطلب منه
الحوائج ان هذا لهو الضلال المبين والجهل الواضح المستبين وقد تقدم
في الحديث ان نسمة المؤمن طائر يعلق بشجر الجنة فاذا كانت في الجنة
تتعلق باشجارها فاي دليل دل على انها تدبر وتتصرف وتتجاوز هذه
الحالة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم الى التدبير والتصريف ولقد كنا
غنيين عن رد هذا القول لظهور بطلانه وضلال قائله ولكن غلبة
الجهل على الجمهور دعت الى الجواب واما ما نقله عن البيضاوي
واعتماده من ان ارواح الاولياء تتصرف فهو دليل على جهله وعدم معرفته
باخذ العلم من محله وذلك ان البيضاوي قال في قوله تعالى والنازعات
غرقا انها طبقات ملائكة الموت فانها تنزع ارواح الكفار من ابدانهم
وتغشطها ارواح المؤمنين اي تخرجها برفق ويسبحون في ان خراج و
يسبقون بالارواح الى مقرها وما اعدلها وتدبر ذلك امرا فهذا
هو الذي قدمه وايده وهو الموافق لعبارات السلف والمحققون من
المفسرين جزموا بانها صفات الملائكة واقتصروا عليه ولم يذكروا سواه
وما وقفت على قول احد حكى هذا الذي ذكره عن البيضاوي سوى البيضاوي
مع انه قدم سواه واخر بل قدم عليه القول بان هذه صفات للنجوم وذكر
وجهه فان كان قول البيضاوي حجة فقد قدم على هذا انها صفات للنجوم

وعلى قولهم هذا الاعتراض واحتجاجه بعبارة البيضاوي
يطلب منه المحو ويستمد منها ويقال بانها تتصرف لان البيضاوي ذكر
انها من المدبرات امرا بل يرجع حينئذ الى عبادة المحو وما كانت عليه
الصابئة في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وكذلك قال في تفسير او
صفات النفس الغراة او اصفات خيلهم وعلى هذا يطلب منهم ومن خيلهم
ويستمد لانها من المدبرات امرا سبحان الله ما اجهل هذا الرجل وما
قل علمه بدين الاسلام الذي اتفقت عليه دعوة الرسل بل ما اجهله بتوحيد الربوبية الذي اقر به المشركون من سائر الامم الذين آمنوا بربوبية الله واشركوا في عبادته واما ما نقله عن الشافعي
انه قال الدعاء عند قبر الكاظم ترياق مجرب فهذا حال اهل الجهل والضلال
يعتمدون الاكاذيب ويحرفون النقل الصحيح ومن عرف الشافعي وعرف
علمه ومذهبه عرف ان هذا من اوضح الكذب واظهره ولا يشك
في ذلك الا جاهل فان الشافعي منع من استقبال القبر الشريف
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الدعاء وامر باستقبال القبلة
عند ذلك كما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية بل حكى الاجماع عليه وهو
من اعلم الناس باقوال العلماء ومذاهبهم وحكاه غيره من اهل
العلم كابن قيم الجوزية والشافعي رحمه الله من اشد الناس متابعة
للسنة ونهيا عن البدع فكيف يجيز ما دلت الاحاديث على المنع منه
كحديث علي ابن الحسين عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم
رواه في المختارة والعيد اسم لما يعتاد مجيئه والتردد اليه لدعاء او سلام ونحوه الدلالة
من هذا انه منع من تحري الدعاء واعتياده عند شرف القبور وافضل
منها على ما دونه بطريق الاولى وذكر العلمي عن الشافعي انه قال

وكذلك الحسن بن الحسن ابن الحسن ابن علي ورواه ابو داود في سننه عن ابي هريرة بلفظ نحو هذا

اكره

اكره ان يعظم مخلوق حتى يتخذ قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده
وبهذا تعلم فقه الرجل ودينه وهذه العبارة وهي قولهم الدعاء عند قبر فلان
ترياق مجرب قد تنادعها عباد القبور والمغترون بها فمنهم من يدعي ذلك
لقبر ابي حنيفة ومنهم من يدعيه لقبر معروف الكرخي وعباد عبد القادر
واحمد البدوي والحسين عندهم ما هو اعظم من ذلك واطم وبعضهم يفضل
الدعاء عندها على الدعاء في المساجد التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
وبهذا وامثاله عمرت المشاهد وعطلت المساجد وبنيت القباب وارخيت الستور على التوابيت فظاهرا تلبيت الله والله نسأل واليه نرغب
ان ينصر دينه ويظهره على سائر الاديان ويقيم له انصارا واعوانا يدعون
اليه ويجاهدون فيه واما قوله قال حجة الاسلام محمد الغزالي كل بلاغ بلغ
من يستمد به في الحياة يستمد به بعد الوفاة فالجواب ان هذا من
جنس ما قبله نقل غير صحيح عن قائل غير معصوم لا يحتج بقوله باجماع المسلمين
وقول الناقل قال حجة الاسلام مجرد دعوى به والتخييل وحجة الاسلام في
كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وما عدا ذلك فيؤخذ منه ويترك كما قال
مالك وبقوله يقول علماء الاسلام كل احد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب
هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو حامد قد دخل في الفلسفة و
اعتنى بكتب الفلاسفة ودخل عليه من الشر بسبب ذلك ما لا يحصيه الا الله
ومن تامل كتبه وكلامه في الاحياء وفي غيره عرف ذلك وكان مما له
رسالة في العلوم الشرعية قال الفقيه ابن العربي المالكي دخل شيخنا ابو
حامد في جوف الفلسفة ثم اراد ان يخرج فلم يحسن الخروج وهذا كلام تلميذه
وهو من اعرف الناس به هذا ان صح النقل وما اظن هذا ثبت عنه واما
قوله قال بعض من المشايخ العظام رايت اربعة اشخاص من الاولياء
يتصرفون في قبورهم كما تصرفوا في حياتهم او ازيد طرحه الشيخ عبد القادر

وبعد اشيء آخر يه الى الغرض فالجواب ان مشايخ الضلال وجهلة الصوفية
الذين لا دراية لهم بدين الله وشرعه قد يصدر منهم هذا ونحوه بل قد حكي عن
بعضهم القول باتحاد الخالق والخلق والقول بحلول الخالق في خلقه و
القول بتعطيل الصفات الثبوتية وكل هذه اقوال حكيت واشتهرت
وخلدت في الدفاتر عن اشياخ يعتقدهم كثير من الناس انهم اهل معرفة وتحقيق
وانهم من المشايخ العظام ومن بنى دينه على هذا رجع الى ما عليه النصارى
من تقديم اقوال احبارهم ورهبانهم على ما بايديهم من كتب الله وعندهم من
هذا النوع شيء كثير وحكايات معروفة وقد عاب الله ذلك عليهم وأنكره
به قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقد فسر صلى الله عليه وسلم هذه العبادة
بطاعتهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله كما في حديث عدي ابن حاتم و
هو حديث صحيح مشهور اعتمده المفسرون واهل الحديث وقد رأينا بعض
من يقول بابن البدوي وزينب والدسوقي يتصرفون وتعلقهم يزيد الى
سبعين وبعضهم الى سبعين وكل هذه من اقوال عباد القبور وقد ابطلها
القرآن وسائر الكتب السماوية وما جاءت به النبوات بل بطلانه معلوم بالضرورة من دين الاسلام واما قول ابن مرزوق ان امداد الميت اقوى
من امداد الحي لانه في بساط قرب الحق وحضوره فهذا القول كما سبق قول
من لا يرتضى ولا يوخذ بقوله ولا يهتدى ونحن لا نمنع ان اقوال الضالين
في هذا المعنى كثيرة ولكن ليست بشيء ومعنا اصل عظيم لا يضل من اتبعه
ولا يشقى وهو كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقرب العبد من الحق
وحضوره لا يفيد هذا فان جميع الخلق قريب بالنسبة الى علم الحق
وخواصهم لهم قرب خاص بالنسبة الى الحفظ والاعانة والنصر والتاييد
والتسديد والملائكة لهم قرب اخص والارواح الطيبة كذلك ومع هذا

فقد

فقد قيل لافضلهم وسيدهم ليس لك من الامر شيء الا عليك البلاغ وتقدم
ما فيه كفاية واما علم الارواح بالزائرين واحوالهم فلا دليل فيه لان
كونه يعلم الزائر ويرد عليه سلامه لا يدل على انه يعلم حاله مطلقا ويتصرف
ويدبر الامر هذا لا مناسبة بينه وبين ما قبله بوجه من الوجوه و
اي تلازم بينهما وقد يعرف الانسان من يزوره وهو فيما هو فيه من العذاب
واما قوله هكذا في شرح المشكاة فقد تقدم ان الحجة ليست في قول
مثل هذا واما قوله وليت شعري ما اراد المنكرون للاستمداد انه
اراد وان الولي لا تصرف لهم اصلا في الحياة ولا في الممات فهو بعينه مذهب
اهل الاعتزال والجواب ان يقال قد تقدم ان هذا الرجل لا يعرف معنى
الاعتزال وبيسمى المؤمنين الذين يعتزلون المشركين واهله ويجتنبون
اقوال الكفرة المشركية معتزلة لجهله بالاعتزال والقول بان الولي
لا تصرف لهم اصلا لا في الحياة ولا في الممات بغير الاسباب العادية الحسية
هو مذهب اهل الاسلام قاطبة الذين اعتزلوا المشركين واهله وقوله
وان اراد وان لا تصرف لهم حقيقة في الحالتين بل المتصرف والمؤثر حقيقة
هو الله تعالى وينسب اليهم مجازا فهو بعينه اعتقادنا والجواب
ان يقال لا تصرف لاحد من الخلق بدون الاسباب العادية لا حقيقة ولا
مجازا وهذا الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم
من الايات والاحاديث واما الاسباب العادية الحسية فهي تضاف
الى العبد حقيقة بمعنى انها صدرت منه وقامت به وحصلت بمشيئته
وكسبه ولا يمنع من اطلاق هذه الافعال حقيقة عليه وان كان الله
هو الخالق له والجاعل كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون ومن قال لا
تضاف اليه هذه الافعال الا مجازا فضل من جنس قول الجبرية و
مذهب سلف الامة وائمتها ان كسب العبد وافعاله الحسية تضاف
اليه حقيقة واما افعال الله التي ليست من جنس اسباب العباد ولا في

قدر تم فهذا لا تضاف الى العبد اصلا لا حقيقة ولا مجازا ولكن المعترض
خلط هنا ولم يميز وقوله انه اراد وانه لا تصرف ولا كرامة لم بعد الوفاة
اصلا بناء على انه لا حياة لهم فهذا مع ما فيه من انكار عذاب القبر باطل
لما ذكرنا من السماعة والعلم لهم ولا شك انهما يتفرعان على الحياة فا
لجواب يعلم مما تقدم وهذه الكلمة حشو وتكرير ليس بتجديد للدليل
بل هو مجرد تكرير الدعوى ولا يخفى ان الملحدين وعباد القبور القائلين
بالتصرف يموهون على الناس بانه تصرف الاولياء كرامة وانه من نفاه
فقد نفا الكرامة وهذا المعترض زاد في التمويه بقوله بناء على انه لا حيا
لهم وانه هذا يلزم منه انكار عذاب القبر وكل هذا تشبيه وتمويه للبا
طل وتمويه على الجهال واهل الحق لا ينكرون الكرامة التي جاء بها القرآن
الكريم كما في قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله
الا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية وقوله ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وفي الحديث القد
سي قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وكذلك يثبتون خرق العادة للاولياء
في بعض الاحيان كما في قصة آصف صاحب سليمان عليه السلام وكما في قصة
اصحاب الكهف وكما تقدم في قصة عمر لكن ليس في هذا دليل على انهم يتصر
فون ولا تلازم بين التصرف والكرامة لان الكرامة خرق الله العادة
لوليه من غير فعل منه ذاكر الولي وقول هذا الجاهل ان ذلك بناء على
انه لا حياة لهم فهذا جهل عظيم وخلط ذميم فالمسلمون متفقون على
اثبات عذاب القبر ونعيمه وان اريد بالحياة تنعم الارواح والاجساد وعذابها واحساسها ونحو ذلك مما ورد فهذا ثابت لا شك فيه
لكنه لا يسمى حياة وانما يطلق اسم الحياة على غير الاموات فالحياة البرزخية
الثابتة للشهداء ونحوهم مقيدة لا مطلقا وعلى كل فهذا الكلام لم يفرق

بين الحياة

بين الحياة البرزخية التي هي احساس بالالم والعذاب ولذة الاستدلال وانبت
حياة البرزخ للكفار والفساق كما تثبت للشهداء وامثالهم وزعم ان
نفي التصرف والتدبير عن الميت نفي للحياة يلزم منه نفي الاحساس وان
اريد ان لهم حياة مساوية للحياة الدنيوية الحسية وان حال البرزخ
كحال الدنيا فهذا كذب بحت ومكابرة للعقل والحس بل وللكتاب
والسنة بنيه قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال كل من عليها
فان وقال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الاية
وقال كل نفس ذائقة الموت والايات في هذا كثيرة وفي الحديث اذا مات
ابن آدم الحديث وقد تقدم في اول فاتحة لخلط هذا المعترض وتشبيهه
مع وجود هذه النصوص واما ظن انه فعل هذا الا لقصد الخديعة و
التمويه على الجهال او هو من اصحاب الجهل المركب الذين وصف الله اعمالهم
بقوله او كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا
ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب وما نقله عن القاضي
في الكلام على قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يوع يد ما
قلنا ويرد على من قال ان الروح عرض يفنا بفناء البدن واما قوله وان
ارادوا وقالوا ابكرامتهم وتصرفاتهم في النشاة الاولى واما بعد مفارقة
الابدان فارواح لا تصرف لهم ولا كرامة وعليهم البيان فنقول قد تقدم البيان
والفرق بين التصرف المثبت وهو ما جرت به العادة من اعمال العباد
وكسبهم وتقدم الكلام على الكرامة وانها ليست كما يظنه الجاهلون انهم
ينفعون او يضرون ويتصرفون وتقدم من الادلة ما فيه كفاية لمن اراد الله
هدايته ومن يضلل الله فلا هادي له ومن عجايب جهله انه يقول
ليس لهم دليل على هذا لا في الكتاب ولا في السنة واقوال السلف النتهى والجا
هل يخفى عليه الحق ولو كان واضحا في نفسه ثم قال المعترض وبلغ
من السفاهات التي تدور على السنة المنكرين هي ان العبد لا بد له من

ان لا يستعين في بغيض تعالى في الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين لأن معناه
نخصك بالعبادة والاستعانة فكما يجب على العباد تخصيصه تعالى بالعبادة كذلك يجب عليهم تخصيصه بالاستعانة فلا يعبدوا الا اياه ولا يستعينوا الا منه تعالى هكذا زعم هذا المعترض ان هذه شبهة وكذب في ذلك فان هذا هو الحق الذي نطق به القرآن في مواضع وجاءت به السنة وعلم وجوبه بالضرورة من دين الاسلام وبالنظر المستقيم لكن هؤلاء اجتالتهم الشياطين وصرفتهم عن اصل الفطرة فصاروا في شك وريب فنسأل الله الثبات على دينه

قال المعترض ويجاب عن هذه الشبهة بوجوه ذكر منها ان الفاتحة مقروءة على السنة العباد تعليما للسلوك والوصول اي ينبغي ان يحمدوا الله ويذكروه بالصفات الجليلة مع الحضور والاخلاص ونفي الخواطر والوساوس مجتهدين في دفعها حتى تندفع بالكلية ولا يبقى في ملاحظتهم الا الله فحينئذ يستحقون ان يخاطبوا الله ويقولوا اياك نعبد واياك نستعين وقصد هذا ان تخصيصه بالاستعانة في حال السلوك والخطاب وعدم وجود السواء وارتفاع الوسائط مراده ان في غير تلك الحوال تباح الاستعانة بغير الله وتجوز فتنعو ذبالله من الجهل المعي ويقال لهذا الا الله تعالى ذم المشركين وكفرهم مع اخلاصهم الدعاء واستعانته به في حال ارتفاع الوسائط والسوى لاشراكهم في حال وجود ذلك كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الاية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل ويقال هذه الاية دلت على اصلين عظيمين الا لا يعبد الا الله ولا يستعان الا به كما قال تعالى عن شعيب عليه توكلت واليه انيب وقال عليه توكلت واليه متاب ونحو هذه الايات التي فيها الجمع بين التوكل والاعتماد والعبادة والانابة واذا كان

التوكل

التوكل والاعتماد في العبادات وغيرها شرط في حصول الايمان كما في قوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فالاستعانة به في نيل المطلوب ودفع المرهوب اصل وشرط في حصول الايمان المطلق لما بينها وبين التوكل من التلازم وايضا فنسلم ان الفاتحة فيها التعليم للسلوك والوصول وهذا هو دين الاسلام ومعرفة سلوك الصراط والوصول الى الله هو اصل الدين الذي يجب التزامه ومتى جاز للعبد ان يخرج عن هذا السلوك وطلب هذا الوصول في حال من الاحوال حتى ينال ان هذا مخصوص فالعبد كلف بطريق السلوك وطلب الوصول الى المات كما قال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ومتى بقي في قلب العبد ملاحظة واستعانة بالوسائط فهو على درجتين اما ان يلاحظ ما جرى به الاسباب العادية مما هو في طاقة الخلق وقدرتهم فالاعتماد على هذا والتعلق به ينقص الايمان الكامل وتحط به درجة العبد لكن لا يخرج به عن الاسلام اذا كان اصل اعتماده وتوكله على الله لا على غيره واما ملاحظة السوى والوسائط في غير الاسباب العادية كالذين يلاحظون ارواح الانبياء والاولياء ويرجونهم ويستمدون منهم فهذا هو الشرك الاكبر الذي لا يجامع اصل الايمان ولا يطابق قوله اياك نعبد واياك نستعين والبراءة من هذا ونفيه هو الصراط المستقيم الموصل الى الله والى جنته ومرضاته وعبارة البيضاوي التي نقل هذا عنه تدل على هذا وتقرره لانه ذكر انه تعالى خوطب بقوله اياك نعبد واياك نستعين بعد ذكر الحقيق بالحمد ووصفه بما تقدم من الصفات التي اختص بها فلهذا خوطب بذلك اياما من هذا شانه تخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغائب حاضرا الا خر عبارته وانما دعا بهذا توجيه الالتفات الى الخطاب من الغيبة وهو

صحيح في ان العبد يطلب منه هذا ويجب عليه لان تخلف المدلول اخلال
بهذا الواجب ونقض لهذا العهد وقول الجاهل ان هذا تعليم لطريق
السلوك والسلوك عبد ومنتهى في المبدا ذكر الله وعبادته واطاعته
وفي المنتهى فني عما سواه وعن فنائه فلم يبق الا الله وجميع الاشياء
الكونية يردها العارف الواصل ان اراد بهذا الكلام ونحوه ان هذا اخذا
حق بالناس من اهل السلوك وارباب الطرائق وان غيرهم من الخلق وسائر
المسلمين لا يجب عليهم تخصيصه بالعبادة والاستعانة فهذا جهل
يضحك منه العقلاء ولم يقل هذا احد ممن يعرف ما خرج من بين شفتيه
الا ان يكون مكذبا متلاعبا وكلام المفسرين واهل العلم يرد ما قال هذا
المعترض ويدل على ما قاله المسلمون من وجوب عبادته تعالى وحده
ووجوب الاستعانة به وحده في هذه
الاية وعلى زعم هذا يقال في قوله اياك نعبد واياك نستعين
ان العبادة تختص به تعالى في حال دون حال لان هذا مقام تعليم لطريق هو
السلوك وفيه فناء عن السوى وهذا اشد خرقا من الدين وتكذيب لنص
الكتاب المبين واما قوله وثانيا فلان حق العابد ان يلاحظ وقت العبادة
غير معبوده فالاستعانة بغير الله تعالى فيها ممنوع ولكن لا تدل على ان
الاستعانة بغير الله ممنوعة مطلقا كيف والمؤمنون يتعاونون بعضهم بعضا
قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فيقال هذا الكلام قريب مما قبله
الا انه خص الاستعانة به تعالى في حال العبادة وعلى
كلامه ان في غير العبادة يجوز ان يستعين بغير الله ويستمد من سواه تعالى
وهذا القول فيه حط لرتبة العبودية وخروج عن الاحكام الشرعية ومنع
لكتاب الله تعالى ان يعمل به الا في حال دون حال وما رايت من تعدى القبور من
بلغ جهله الى هذه الغاية وان يتصرف في كلام الله بمقتضى رايه ومذهبه وايه
هذا عن معنى الحصر وان خصوص المستفاد من تقديم المعمول وايه هو عن

العموم اللفظي الذي اعتبره اهل العلم والتاويل بل تعرفه العامة من المسلمين
وتفزع به واما قوله كيف والمؤمنون يتعاونون بعضهم ببعض فهذا من
غباوته فان التعاون بين المؤمنين لا يدل على انهم يتعاونون فيما هو من خصائص
الرب به بالقدرة والتاثيرات الباطنية وانما ذلك خاص بالاسباب العادية
والافعال المشاهدة الحسية ومن لم يفرق بين هذا وما قبله فهو ممن طبع الله على
قلبه وما ذكره عن الحصن الحصين من طلب الاعانة اذا انفلتت الدابة
ليس هو من جنس خطاب الله بالاستعانة الشركية فيما لا يقدر عليه الا الله
بل هو من جنس الاسباب العادية لانهم حاضرون فخطابهم من جنس خطاب
الحي الحاضر وايضا هذا من الاستعانة باصحاب القبور من الاولياء والمشائخ
وقال المعترض وقد يجاب عن هذه الشبهة بان الاستعانة طلب المعونة
وهي بالاسباب التي يسهل بها الفعل وتقرب الفاعل اليه وبالاسباب التي يتوقف
عليها الفعل المسمى بالاستطاعة فرجع الاستعانة هنا الى طلب التوفيق
والهداية ولا شك انهما فعل الله تعالى مختصا به انتهى كلامه والجواب
ان هذا الرجل لا يدري ما يقول فان عبارته متناقضة فاولها فيه جعل الاستعانة بالاسباب التي يتوقف عليها الفعل والاسباب التي يسهل
بها الفعل وهذا عام وفي اخرها قال ومرجع الاستعانة هنا الى طلب
التوفيق والهداية وهي اخص من الاسباب التي يتوقف عليها الفعل
والتي تسهله فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب وليس بين السبب
والمسبب تلازم اصلا ومراده بهذا الكلام المخالف ان التوفيق والهداية
مختصا بالله وما عداهما فيستعان به غير ويستمد من سواه تعالى الله عن
هذا القول واي دليل دل على ان المقصود بالاية نوع من الاستعانة خاص
دون سايرالانواع ثم من جهله ساق بعد هذا الكلام عبارة البيضاوي
فيها تقسيم المعونة الى ضرورية او غير ضرورية وهي حجة عليه فان البيضاوي

العلم

ادخل جميع الاقسام في الآية وبيان ان هداية الصراط المستقيم هي ان غاية
المطلوبة وهذا عام في كل ما يستعان به تعالى عليه من امر الدنيا والاخرة فان
الصراط المستقيم المخرج عنه ان فعال المغضوب عليهم والضالين فهو لفظ عام
يدخل تحته من المقصود والارادات والاعمال الباطنة والظاهرة والعبا
دات والوسائل كل ما اريد به وجهه تعالى وكان صوابا على المنهاج المحمدي
وعبارة البيضاوي ترد قول هذا المعترض وتشهد لما قلناه ولكنه نظر الى
ما فيها من التقسيم فظن الاول وهو عليه واما قوله فان قيل ما معنى
الاستعانة والاستعانة من الانبياء والاولياء فقد معناه الذي نريد به التو
سل بهم الا في المهمات فقط بان يقول المتوسل اللهم اني اسالك حاجتي
هذه واتوسل اليك بهذا العبد المقرب المكرم عندك ان تعطيني كذا وكذا بلا تفكر
وكرمك فيقال لهذا هذا الكلام ينافي ما قبله وما بعده لانك قد صرحت اولا بانه
يستمد منهم ويستعان بهم ويقصدون في الحوائج ويعلمون الغيب ويتصرفون
ويدبرون ولا يصح تفسير هذا بان المراد ان يقول المتوسل اللهم اني اسالك بحا
جتي هذه بهذا العبد او نحو هذا الكلام فان الاول صريح في سوال العباد في النفسهم
وليس فيه تعرض لسوال الله بهم والثاني ممنوع فيما ان يكون الرجل مضا
في مثلا او قصد التعظيم والمغالطة والتشنيعة تروجا على العوام وهي
مما يزري عند ذوي الافهام وقيل ايضا قولك بعد هذه العبارة او يقول يا
عبد الله يا ولي الله اشفع لي صريح في منافاة هذا ويطابق الاول من بعض
الوجوه ولكنه يخالفه من حيث انك هناك ذكرت الشفاعة وفي الاول رجعت
بالتصريف والتدبير والشافع لا يكون متصرفا مدبرا وانما يسال بجاهه
عند المتصرف المدبر اذا تبين هذا وان الرجل مخطئ فاعلم ان مسئلة
الله بجاه الخلق نوع ومسئلة الخلق ما لا يقدر عليه الا الله نوع آخر هو

فمسئلة الله

فمسئلة الله بجاه عباده منعها اهل العلم ولم يجزها احد ممن يعتد به و
يقتدى به كما ان ائمة اهل ربعة واشباههم من اهل العلم والحديث الا ان ابن عبد
السلام اجاز ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة واقتدى بثبوت صحة الحديث
الذي جاء في ذلك وهو حديث الاعمى الذي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ادع الله يا محمد ان يرد علي بصري فامره ان يتوضا ويصلي ويدعو الله وفي
دعائه اسالك بنبيك محمد قال ابن عبد السلام ان صح الحديث فيجوز بالنبي
خاصة والحديث في سنده من لا يحتج به عند اهل العلم كما لا يخفى على اهل
الصناعة وجمهور الناس من اهل العلم يقولون معنى الحديث ان صح التوسل
بدعاء صلى الله عليه وسلم في حياته كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء
وفي غيره واما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فليس من هديهم وطريقتهم ان
يسالوا الله به بل لما قحطوا ازمن عمر استسقى وتوسل بدعاء العباس
كما تقدم وبالجملة فهذه المسئلة نوع ولا يخرج بها احد من دين الله عز وجل
انما الكلام في سوال العباد وقصدهم من دون الله كما هو صريح كلام
هذا المعترض وسوال العباد وما استعانة بهم فيما لا يقدر عليه الا الله
شرك جلي ولو قال يا ولي الله اشفع لي فانه نفس السوال المحرم وطلب الشفاعة
منهم يشبهه قول القندوزي يا والدة اله له اشفعي لنا الى الابن وقد اجمع المسلمون
ان هذا شرك واذا سالهم معتقدا تاثيرهم من دون الله فهو اكبر واعظم و
هو صريح كلام هذا المعترض فيما تقدم لكنه مخاتل موسوس وقوله
واما ما يريد به العوام مع اعتقاد التاثير ممنوع بل شرك وكذلك السوال
من الانبياء والاولياء امورا مختصة بالله تعالى وبعض افعالهم عندنا
مرة القبور فهو حرام قطعا واما التوسل بالوجه الذي بيناه فهو جائز
بالاخبار وهو ثالث فيقال له اي فرق بين ما ذكرته من ان ارواح الاولياء
تتصرف وتدبر وتعلم الغيب ويستعان بها وبين ما ذكرته عن

العوام اذا قلت ان العوام يعتقدون انها تفعل وتؤثر بغير اذن الله وانها
مستقلة بالربوبية فهذا لا يقوله احد ممن يعترف بان الله رب كل شيء
وان قصدت انهم يقولون انها مفوضة تدبر وتؤثر وتتصرف وتعلم فهذا
عين قولك سواء بسواء ولا فرق بينك وبينهم وانما ذكرك اعتقاد العوام
هنا مجرد تلبيس وكل من نظر في كلامك عرف انه هو الذي نسبته الى
اعتقاد العوام وقوله وكذلك اسوأ من ان نبيا وان وليا يأتي امورا
مختصة بالله تعالى ان اراد به غير الاسباب العادية فهذا هو الذي
النزاع فيه وهو عين كلام من ان ارواح ان وليا تتصرف ويطلب منها
قضاء الحاجات ودفع المهمات وهذا مختص بالله وقد زعم لغيره
وان اراد به ان الاسباب العادية تطلب من غيره تعالى كسؤال المخلوق
ما يقدر عليه من دفع العدو او تعليم ما يعلمه من العلم ومافي وسعه
من ان طعام والصدقة والدعاء ونحو ذلك فهذا لا يمنع منه والكلام انما هو
في النوع الاول الذي وقع النزاع فيه واما حديث عثمان ابن حنيف و
حديث ابي الجوزي وحديث انس فقد ان حاديث حجة عليه لا له لانه
ليس فيها استمداد من المخلوق ولا استغاثة به بل فيها استمداد من
ولي المدد وما لكه واستسقى عمر ومعاوية بالعباس ويزيد حجة لاهل الحق
القائلين انه لا يستسقى بالاموات ولا يستعان بهم لان بالمدينة وغيرها
من ان بنيا والشهداء والسابقين ان وليا من هو افضل من العباس ومن
يزيد باب الاسود ولا استسقى بهم احد من الصحابة ولا في القرون المفضلة
فدل على ان ذلك ليس من دين اهل الاسلام وانه من ابطل الباطل والسنة
اولى بالاتباع واحق ثم ان هذا المعترض اتى في اخر كلامه بشبهة
سافجة تخالف ما تقدم فقال اذا تعذر ان ادعوا الله تعالى عليه بواسطة
الملائكة او بواسطتهم فيجوز ان يكون نداؤهم والتوسل بهم يعرض

عليهم

عليهم فيدعوا لنا بالخير ويشفعوا فيشفعوا والجواب ان يقال ان الداعي
والشافع من المدبر المتصرف قد تقدم لك وتكرر انك تقول بانهم يدبرون
ويتصرفون ويمدون فما بالك رجعت القهقرى وجعلتهم داعين شافعين
والشفيع انما يشفع بجاهه وكرامته عند من يفعل ولا فعل له هو بنفسه
فلا ادري اي المذهبين تختار ان الطريقين ارجح عندك اما الطريقة
الاولى فطريقة من اشركك في الربوبية وزعم انهم مدبرون وفاعلون و
متصرفون والطريقة الثانية فطريقة مشركي العرب ومن ظاهرهم و
شابههم من عباد القبور الذين يعتقدون انهم اذا سألوهم وتعلقوا عليهم
نالوا بجاههم وشفاعتهم وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الاية وقال
تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وبعض
الجهال يظن انه اذا قال انا اريد شفاعتهم وجاههم واعتقد ان الله هو
المؤثر انه ينجو بهذا من الشرك ويكون مسلما وقد عرفت مما تقدم ان هذا
هو الذي كانت عليه العرب في زمنه صلى الله عليه وسلم وانهم لم يعتقدوا المدبر
والمؤثر لغير الله تعالى قال الله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض ام من
يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن
يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون والايات في هذا كثيرة فيها
انهم يعترفون لله بالتدبير والتصريف ولكنهم قصدوا من الهتهم مجرد الجاه
والشفاعة وقولك هذا قد علم مما ذكرناه قول القائل يا شيخ علمنا اكفاه
شيأ استمدادا منه جائزا فيقال له تقدم لك انك تقول ان الذي نريد
بهذا التوسل بهم الى الله بان يقول المتوسل اللهم اني اسألك بعبدك وتقدم
قولك انهم يدعون الله ويشفعون وهذه العبارة الاخيرة صريحة في طلب
عبد الغائب نفسه وهذا هو الذي تريدونه وهو الذي انطوت عليه الضمائر

ولكنه تارة تصحو به وتارة تكمونه وتظهر دون غيره وعلى كل فانتم في
قول مختلف يؤفك عنه من افك كما نعت الله بذلك اخوانكم الاولين
واما حكاية اليافعي في تكملة مرآة الجنان ان رجلا استغاث بعبد القادر
فاغيث ورأى عند ذلك رجل عليه ثياب شديدة البياض ونحو هذا الكلام فهذا
ليس من ادلة اهل السلام ولا يثبت به باجماع حكم من الاحكام ويحتمل ان
هذا المستغيث رأى خيالا اوجانا فتوهمه عبد القادر وليس كذلك هذا ان
صح النقل ولا يمكن تصحيح مثل هذه الحكايات ولو لم يكن منها الموانع الاجمالية
الراوي لديه الاسلام وعدم معرفته بصحيح الاحكام والحكاية عن الشيخ
عبد القادر انه يقول من استغاث بي في كربة ومن نادى باسمي في
شدة فرجت عنه ومن توسل بي الى الله في حاجة قضيت له ومن صلى ركعتين
ثم يخطو الى جهة العراق احد عشر خطوة وينذكر اسمي وينذكر حاجته فا
نه تقضى وهذا الكلام البشع الخبيث ننسبه الى هذا الشيخ الموحد خطا
عظيم وزلل وخيم وقد ابتلى رحمه الله بمن يعتقد فيه نوعا من الالهية ويجعله
ند الرب العالمين كما ابتلي بهذا علي ابن ابي طالب وابنه الحسين وغيرهم
من سادات المؤمنين وكل من عرف عبد القادر او وقف على كلامه الذي
ينقله الثقات عنه يجزم ببراءته من هذا وسلامته من هذه الشركيات
والخرافات التي ينزهه عنها العاقل فضلا عن العالم الفاضل وعند النصارى
واشباههم من هذه الحكايات ما يملأ الدفاتر وكانت العرب في الجاهلية
تعتقد على عبادة اللات والعزى ومناة ونحو ذلك بمثل هذه الحكايات الضالة و
ان تاويل الباطلة بل ربما سمع بعضهم الخطاب من نفس معبوده قال الله
تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون وقال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء
قليلا ما تذكرون وقال تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه

واتقوا

واتقوا الله لعلكم ترحمون وقال تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيمة اعمى الاية وقد خرج الطبراني بسنده انه كان بالمدينة منافق يؤذي
المسلمين فقالوا قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال
لهم صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل فمنع
من اطلاق هذا اللفظ حتى في اله سباب العادية سدا للذريعة الشركية
وهو سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وروى عن ابي عبد الله القرشي احد مشايخ
الطريقة انه قال استغاثة الخلوق بالمخلوق في استغاثة الغريق بالغريق
وعن ذي النون استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون
ولعبد القادر في كتاب فتوح الغيب ما هو قريب من هذا الكلام
وهذه هي حال اولياء الله وعباده الصالحين يامرون الخلق بما يوجب صرف
قلوبهم ووجوههم الى الله وحده لا شريك له والانابة اليه والاعتماد عليه كما
قال عن امامهم ابراهيم عليه السلام انه قال لقومه افرايتم ما تعبدون انتم
وابآؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
وقال تعالى لنبيه قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا فكيف يقول غير الرسول
استغيثوا بي ومن استغاث بي فرجت عنه سبحان الله ما اجهل اعداء
الله وقال تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وتقديم الجار يفيد
الاختصاص وان العباد لا يرغبون الا اليه وفي الحديث من لم يسئل الله
يغضب عليه وفيه من حديث ابن عباس اذا سئلت فاسئل الله واذا استعنت
فاستعن بالله وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان الاية فلا يدعى شيء ويستغاث بغير الكون عين اعلم وارحم
واحكم والمعاذ تعالى الله عن قول الظالمين علوا كبيرا والحمد لله الذي هدانا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وصلى الله على اشرف المرسلين
وامام المتقين نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اعترافا لكبريائه ولوهيته ولربوبيته
والحمد لله رب العالمين اهـ

والمجرور رصح

بلغ مقابلة على
اصل المصنف ولله
الحمد والمنة